لعنة الذاكرة

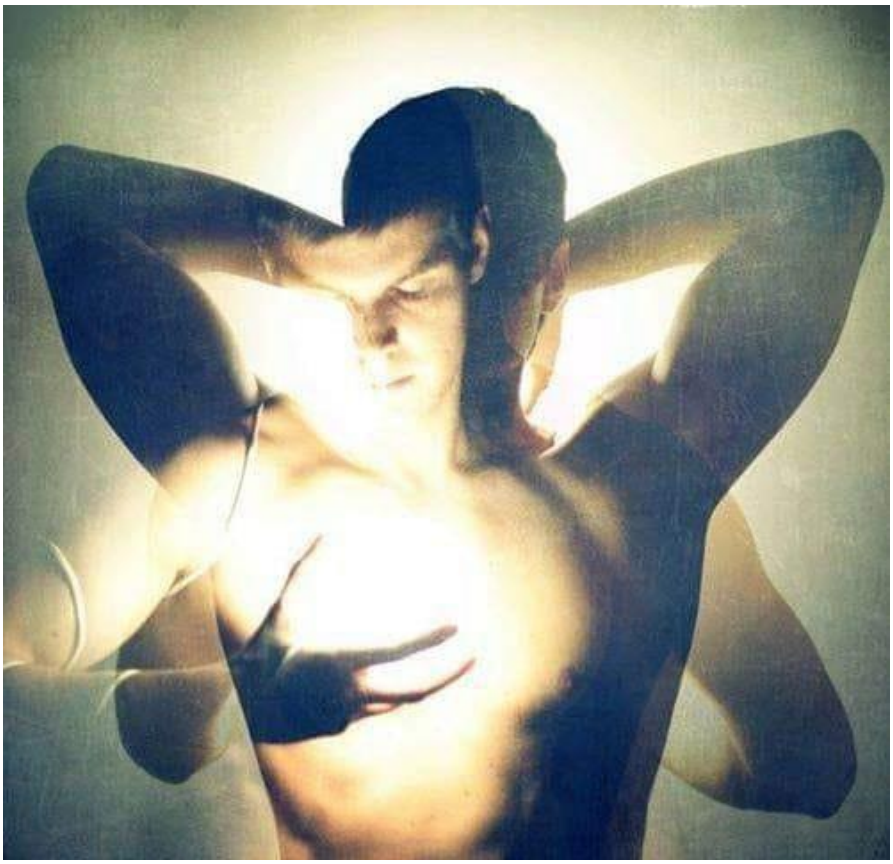

تأليف : ابراهيم نعسان

دائِماً ما أسألُ نفسي

هل الحُبّ هوَ الشّعور الأسّمى أم الأصعب؟

وهل فعلاً لولا وجود الحُبّ لما وُجِدنا نحنُ البشر

ام هوَ مُجرّد كلام فارغ ومجازي؟!

ومن هُنا بدأت قصّتي مع الحُبّ ..:

خريف 2018 في مكانٍ ما من |سوريا |

ب وسط الحرّب منذُ سبع أعوام .. مشاعرنا إنّحصرتْ بين الخوف و الرّعب ، وجهان لنفس المعنى

إذا قرّرتَ تجسيد الشّارع بِـ بضع كلمات فـ سوف تكون:

" لا شيءَ بخير"

وجوهٌ شاحِبة - بشر متسوّلة - خوف من كُلّ شيء

و في أيّة لحظة تسمعُ دويّ إنفجار وتسقطُ الجثث أمامك وربّما هذه المرّة تكون انت من ضِمنها ..

إنّ سألتني عن اسمي فهو "ابراهيم " من ادلب و اسمك هُنا مهمّ جداً كذلك المكان الّذي ولدتَ به ،

ليسَ لتعزيز التَمسّك بـ هويّتك و أصولك

و إنّما لكي لا يُشتبه بـ أنّك مُجرم ..

و إنّ سألتني عن عائلتي ف عائلتي مذ كنتُ في الرابع عشر من عمري وكل منا ب مكان وأنه مجرد وقت لا اكثر بيتنا إنّدلع به حريق ب وسط الحرب وغادروا جميعا

عمري الآن يُناهز ال20 عاماً

نعم يناهز لأنني أشّبه بـ عجوز في العشرين ..

حياتي مُملّة , أدرسُ في الثانوية و أعمل منذ الصغر لتأمين يومي و الإجتهاد في عملي , تمرّستُ كُلَّ المشاعر تقريباً لكن كنتُ أجهل شعور الحُبّ.....إلى أنّ إلتقيتها صدفةً!

شتاء 2020 |دمشق|

تحديداً في تمام السّاعة الثّامِنة مساءً كنتُ أمشي للمنزل تحت المطر حاملاً مظلّتي وشاهدتها ، فتاةٌ بيضاء البشرة

يتراوح طولها بين ال160 و cm165 ، شعرها أسود مُبلّل ولم انّتبه للون عيونها ، تمشي تحتَ المطر ويبدو أنّها لا تحمل مظلّة ولاحظتُ أنها إقتربتْ إليَّ وفجأة ..

_"هل أستطيع الإحتماءَ تحت مظلّتك!"

لم أعرف ما أقول لكنني خجلتُ وسمحتُ لها بـ ذلك

مشينا معاً و خيّمَ الصّمت لدقائق وكَسرتّهُ بـ قولها أنّها قد وصلت لمنزلها و شكرتني

و المُصادفة أنَّ منزلها لا يبعدُ بضع مترات عن منزلي فـ قلتُ لها: لا شكر على واجب وبالمناسبة منزلي يبعد عن منزلك بضع مترات بسيطة ومشيت

إلّتفتتُ عندَ سماع صوتها وهيَ تقول لي: ولكن لم أعرف اسمك بعد

اسمي ابراهيم وانتي ؟

دخلت المنزل وانا ب حيرة ع معرفه اسمها لكن

إبتسمنا بـ وجوه بعضنا و دخل كل واحدٍ إلى بيته ..

أصبحتُ كُلَّ يومٍ أراها

كان هناك إحساسٌ غريب يراودني دائماً فورَ رؤيتها

وأسأل نفسي: من أينَ أتت هذه الفتاة

وكأنّني كنتُ أعمى البصيرة ، نقطنُ في نفس الحيّ ورغم

ذلك لم ألمحها يوماً ..

تتوالى الأيام ولا زلتُ أراها ولا أعلمُ معنى ذلك الشعور

أيقنتُ غرابة شعوري عندما أتى يوم خرجت من المنزل ولم أراها! .. جسدي لوحده أعطى أوامر لأقدامي بـ عدم المشي إلى أنّ تراها عيناي ، وبعد إنتظارٍ دامَ لدقائق رأيتها و هيَ تخرجُ من منزلها وعيناي لم تستطع أنّ تُزيحَ النظر عن وجهها،

نظرت إليَّ و إبتسمت و رفعت يدها ملوّحةً

ولكن انا لم أستطع المبادرة فقط إكتفيتُ بالنظر إلى عيناها , و أيقنتُ أنّها بنية

وكأنّني في هذه اللّحظة فقدتُ السيطرة على كُلّ شيءٍ بي .. إقتربت وقالت: ماذا دهاك؟ أُلوّحُ لكَ ولم تستجيب، كيفَ حالك؟!

أجبتُ مُتلعّثِماً: لا لا شيء فقط لم أكن حاضراً ذهنيّاً ، انا بخير وأستطيع القول أنني أصبحتُ أفضل منذُ خمسِ دقائق تقريباً وانتي

أيضاً بخير الحمّدُ لله ..

رُبّما كان كلامي مبعّثراً و غير مفهوم في بعض الأماكن ولكن كنت أُريدُ أنّ أُحدّثّها عن أيّ شيء و لا أعلُم لماذا

قلت لها: اذا ليسَ لديك شيء مهمّ هل تقبلين عزيمتي إلى المقهى ؟!

بالطبع أقبل لكن عليكَ أنّ تعذرني الآن لديَّ مُعهد وعندما أنّتهي سوف أكون جاهزة

هذا رقمي .....٠٩ عندما تنتهي معهدكِ إتّصلي بي

حسناً سأُحدّثُكَ فورَ إنتهائي .

ذهبت وذهبَ معها قلبي ولكن في وقتها لم أكن أعرف ذلك ..

وبعد مرور خمسين دقيقة تقريباً يرنُّ هاتفي

رقمها إنّها هيَ ، أجبتُ وقلت: أهلاً بك هل انتهت معهدك؟

إفرض أنني لستُ انتِ (تضحك) .. نعم انتهت وخرجتُ من المعهد ، أرسل إليَّ موقع المقهى وسوفَ آتي إليك

لا تخافي انا أعلمُ أنَّهُ لن يتّصل بي أحدٌ غيرك الآن ..

سوف أرسل لكِ الموقع وانا في إنتظارك

إنتظرتها خمس دقائق إضافيّة وفي المُجّمَل إنتظرتها خمسة وخمسون دقيقة لأنني لم أذهب لمحاضرتي ، كنتُ أتمرّن على كيفيّة الكلام وعن ماذا سأتحدّث معها , لا أعلمُ لماذا أفعلُ كُلَّ هذه الأشياء فقط لكي أراها

وصلت

جلست وقالت: مرحباً .. هل تأخرّت؟

قلتُ في داخلي "نعم إنّها الدقيقة الثالثة و الثانية خمسة عشر فوق الخمسة وخمسين دقيقة في إنتظارك" لكن قطعتُ كلامي الداخلي وقلتُ لها: لا لم أنتظرك كثيراً أتيتِ في الموعد المُحدّد .. كيفَ كان المعهد اليوم؟!

لا بأس بها ، أكثر شيء يكرهه طالب المعهد هيَ الجلسات ..

نظرتُ في عيناها و إنتهت حروفي الّتي لم تبدأ أساساً وكُلّ شيء حاولت التمرّنَ عليه قبل وصولها أختفى مع وصولها،

ابتسمَ ثغرها وقالت: ما بِكَ؟ لماذا تنظر إليَّ هكذا؟!

عينا.. أقصد هل أطلبُ لكِ شيءً؟

اممم نعم فنجانٌ من القهوة

قُلتُ للنادل: من فضلك فنجانين من القهوة ، اثنين سّادة

حدّثّني

عن ماذا؟

كم عمرك وعن عائلتك و الأشياء الّتي تُفضّلها

20 عام هذا عمري الحقيقي لكن في مُخيلتي ما زلتُ في الرابع عشر من عمري عندما غادر أفراد عائلتي إثرَ إلحرب ، "نظرت إليَّ و عيناها تكادُ مُعانقتي من فرط الحنان"

رُبّما هذه المرّة الأولى الّتي ينتابني فيها شعور الحنان الّذي كنت أجهلهُ

أكملتُ حديثي وقلت: لونيَ المُفضّل هوَ الأصفر وانتي؟

الأصفر يبعثُ لروحي الطمأنينة ..

"المُصادفة الجميلة أنّني أرتدي قميصاً لونه أصفر و هيه ترتدي اللون الأسود " هذا إنّ كانَ مُصادفة أنّني أرتدي لونها المُفضّل و هيَ ترتدي لوني المُفضّل،

جميل جدّاً ، و تبادلنا أطراف الحديث وسرق الوقتُ وَعيَنا ولم نَشعر به ..

نظرتْ لهاتفها وتفاجئتْ أنَّ السّاعة قد أصبحتْ الثّامِنة و النصف وقد أمضينا وقتاً طويلاً في المقهى

إعذرني ابراهيم عليَّ الذهاب للبيت فقد تأخّرت

لقد داهمني الوقت ولم أنتبه أنّنا جلسّنا طويلاً هُنا ، هيّا بنا نذهب

في طريق العودة أكملنا باقي حديثنا وإلى الآن انا لا أعلمُ كيفَ أمضيتُ كُلَّ هذا المُدّة في الحديث معها دونَ تَلعّثُم أو رُبّما كانَ كلامي كُلّهُ غيرَ مَفهوم لكنّني لم أنتبه

- عيناها السّبب -

قبلَ أنّ نصل لـ منزلها سألتني: ما هو حُلمك؟

أجبتُ دونَ تردُّد وكأنّني لا أعلمُ العواقب

وقُلت: أن أُعانقكِ تحتَ المطر ، وأنتِ ؟!

" هُنا أدركتُ أنّني أخطأتْ وسهوَ عقلي بكِ ستذهبُ من غير عودة "

أجابتني بـ إجابة جعلتني مُستغرِباً طوالَ ذلك اليوم

وقالت: أن تُمطر .....

أنا و عقلي و المنطق لا نعلمُ الحاصل

لم أتفوّه بـ كلمة فقد إكتفيت بـ وداعِها مُلوّحاً بـ يدي ومشيتْ

فيما بعد ..

إلتقينا كثيراً وأصبحتْ علاقتنا أعمق وأقوى ،

سألتها ذات مرّة: هل يُعقل أنَّ المرء يشعر بالحُبّ ولا يستطيع شرّحه أو البوحَ به ؟ هل للحُبّ وجود أساساً؟!

نعم رُبّما لكن عاجلاً أم آجلاً سوف يبوح بـ حُبّه عندما يطفح الكيل عنده و إجابتي على الشّق الثاني من سؤالك هوَ أنَّ لولا وجود الحُبّ لما وُجِدنا فهوَ مهمّ كأهميّة الماء و الحُبّ إرتواءٌ للروح ..

لحظة لقد قالت لولا وجود الحُبّ لما وُجِدنا! هذا ما كنتُ أُفكّر به منذُ بدأت أشعر بـ ذلك الشعور تجاهاا عندما أكون بـ جوارها ، أيُعقل أنّ هيه تعرفُ ما أشعر به وهل انا حقاً أُحبّها!

يبدو أنّك تريد قولَ شيء ما ، أُحسُّ أنَّ قلبكَ يُنازع عقلك في قول ذلك الشيء

هُنا أعتقدتُ أنّ أفكاري عارية و كُلُّ ما أُفكّر به بيني وبين نفسي مَكشوف على الأقل لها ، ماذا أفعل؟ هل أقولُ لها أم أتريّث قليلاً لرُبّما ينتهي الموقف

شعرتُ وكأنّني سأموت بعدَ أنّ أُعطي جوابي أعتقدتُ أنّ كُلَّ شيء سينتهي بعد إجابتي وكأنّها آخرُ لحظة لي في الحياة من صعوبة الأمر على قلبي كونها أوّل مرّة يدقُ قلبي فيها للحُبّ ..

إستّجمعتُ قواي العقليّة وقرّرتُ البوح وقلت: لديَّ ما أقول ، لا أعلمُ حقيقة ما أشعرُ به لكنّه جميل وثقيل قليلاً على قلبي وأعرفُ أنّ هذهِ أوّل مرّة أُجرّب هذا الإحساس

" انا أُحبّكِ كثيراً "

لم أكن أُريد التحدّثَ في الموضوع لكن لم أستطع فقد كنتُ أشعر بـ ثقلٍ كبير على صدري والآن لم أعد أخاف من شعوري فقد قلّته وأزحّتهُ عن ظهر قلبي ..

ابتسمت ونظرت لعيناي قائلة: واخيراً! انتظرتك كثيراً لكي تبوحَ بهذه الكلمة

صحيحٌ أنّها كلمة واحدة مؤلّفة من أربعة أحرف فقط لكن كانت ثقيلة وصعبة على قلبي ولساني وكأنّها مُعجم كبير أو أبجديّة بـ حالها .. لا يهمّ لقد نطقتها على أيّة حال

فعلاً ثقيلة لأنّها حقيقيّة .. والآن أستطيع القول أنّني " أُحبّكَ أيضاً "

أذكرُ أنَّ قلبي كادَ يخرج من صدري من شدّة سعادته ولم أعد أستطيع إكمال كلمتين دونَ تلعّثم وكأنّني ابراهيم آخر ، هل هكذا هوَ الحُبّ؟ .. يا لهُ من شعور غريب لكن جميل يُحيي الروح و يُنّبتُ الإبتسامة من جديد ..

الشعور الأوّلي للحُبّ أشدُّ جمالاً من إكتماله ، فهوَ يكون بسيط وكُلّ شيءٍ به قائم على العفويّة بعيداً عن النمطيّة الّتي تُصاحب إكتماله و التعمُّق في العلاقة فنحنُ في البداية لا تظهرُ لنا الصورة الكاملة للطرف الآخر وتكتفي البداية

بـ النظرات الخجولة و الكثير من الكلام في بعض الأماكن و أيضاً الكثير من الصّمت في أماكن أُخرى .. نعم هكذا هوَ الحُبّ تُحِسُّ أنّهُ يُناقض المنطق لكن في الحقيقة إن لم تُكسر حواجز المنطق في البداية فهذا لا يُسمّى حُبّاً ..

بدأتْ تتعمّق بـ داخلي إلى أنّ أصبحتْ جُزءً لا يتجزّأ من قلبي وكياني هذا اذا لم تُصبح قلبي بالكامل أو كُلّي ، زرعتْ حُبّها وحنانها بِـ داخلي وكُلّ صِفاتها الإيجابيّة طغت على صِفاتي السلبيّة ، كلانا غَرِقَ بِـ بعض الآخر ..

عاهدتُ نفس بطريقةٍ ما أن أُحوّل تفاصيلها

لـ كتاب

أو لـ أُغنية

أو لـ مرآة تعكِسُ الجّمال

أو لـ دواء يشّفي من كُلِّ حُزن

أو لـ فراشة ملوّنة بِـ ألوان الفرح..

فـ تفاصيلها أكبر وألّطف من أن تتجسّد

بِـ إنسان فقط

هي خُلِقتْ لـ بعث البهجة

والجّمال والدّواء لـ كُلّ من يراها..

دائِماً ما كانت هي تأتي انتظاري أمام منزلي , كانت تحددث معي وكل ماتحدثنا معا رأ الغُرفة مليئة بـ صورها

بـ كُلِّ زاوية متواجدة

هُنا وهُناك ، فوق السّرير وبين المتر و الآخر

وعلى جدار قلبي مرّسومة مثلَ لوحة الموناليزا

وصورها المُصغّرة موجودة في الكُتب الّتي أقرأها

بينَ الصفحةِ و الأُخرى يوجد لها صورة ، دائِما ما كانَ هذا الشيء يُحفّزُني على القراءة أكثرَ وأكثر

هيَ وحدها من يستحق ذلك

لا أُصدّقُ عيناي وكأنّني غدوتُ طفلة في هذه اللحظة

في الحقيقية أنتي لم تدخلي لقلبي انتي دخلتي لروحي

انا آسفة لأنّني سأقطعُ عنك هذه اللحظة الرومانسيّة لكن أخرج من قلبك قليلاً ريثما أُرتّب هذه الفوضى العارمة وكأنَّ حرباً عالميّة حدثتْ هُنا ،

إبتسمتُ وخرجتُ أتمشّى

يا الله كيف لها تلك القدرة على السيطرة على عقلي و قلبي سويّاً! ، لديها تأثيرٌ جبّار

تسطيع تغييرَ مزاجي بـ كلمة واحدة

نظرة واحدة من عينها كفيلة بـ أن تَهُزَّ كياني

وكأنّها ملاكٌ من الربّ..

صادفت محلَّ لبيع الإكسسوارات ولفت إنتباهي سِوار يوضع عليه أحرف من نُحِبّ ، اشتريتُ سِوارين واحدٌ عليه

حرفُ الـI و الآخر حرفُ الـN

عُدتُ للمنزل و انتظرت لليوم التالي لأرئها والبسها سوار بيدها وقت ذهبت لأراها

لم تكن بـ ذلك السوء (يضحك)..

أقتربتُ مِنها وأمسكتُ بـ يدها و وألّبستها السِوار وقبّلتُها و وضعتها على قلبي

هل تشعرينَ بـ نبضاته؟

بلى

إنّ جاءَ يوم وتوقفتُ بِهِ عن حُبّك فإعلمي أنَّ هذه النبضات قد توقّفت .. غير هذا لن يُفرّقني عنكِ شيء

إحمرَّ خدُّها وقالت بـ خجل: _ انا أُصلّي كُلَّ يوم و أطلبُ من الله أن لا يُفرّقني عنك ابداً .. عليَّ الذهاب الآن أراكَ غداً في المقهى بعد المعهد إنتظرني لن أتأخّرَ عليك

سأنتظركِ حتّى وإن طالَ إنتظاري للأبد .. سأشتاقُ لكِ

(تضحك) وانا أيضاً .. وداعاً

ذهبتْ وجلستُ على سريري وفتحتُ الكتاب الّذي بـ جانبي لكي أُكمله و أُهديهِ لـها

كنتُ قد أكملتُ نِصفه و أُريدُ أن أنّتهي من كتابته مع تَخرُّج هيه من المعهد ، اسميته "انا وهي "

أتحدّثُ به عن كيفَ إلتقينا وأحداث قصّتنا الرومانسيّة معاً إلى حينَ تَخرّج هيه من المعهد و أطلبُ يدها رسميّاً

ونمضي باقي أحداث قصّتنا الجميلة سويّا تحتَ سقفٍ واحد..

هيَ المُفارقة الوحيدة بـ حياتي المُملّة أنَّ هيه دخلتها

لـ تملئها بـ الحياة

لدينا الكثيرَ من المشاكل

لكن مفهوم "الخِصام" غير موجود بيننا

عندما أُخطئ أعودُ لإرضائها وعندما تُخطئ

أيضاً أعودُ لإرضائها

فقلبي لا يقوى على رؤيتها حزينة حتّى وإن كانت المُذنبة ،

هيَ ليست مُجرّد فتاة وحسب

هيَ وطنٌ قلبي لا يُريد التغرّبَ عنه .. النُعاس بدأ يجتاحني

سأتوقفُ عن الكتابة الآن وأُكمل غداً..

في صباح اليوم التالي عند السابعة ،

صحوتُ من نومي بانتظار رساله منها ولم تتكلم وعلمت أنها ذهبت عني

إلّتزمتُ الصّمت وانا بنتظارها وقلبي يصرخُ مِنَ داخل ضلوعي ولا أدري ما أفعل حتّى أنّني إلى الآن لم انتظر..

غَلبني ألمُ رأسي والتعب وسرحتُ نائِماً ، صحوتُ في اليوم الثاني وخرجتُ من منزلي بعدَ أن تأكّدَت أنّي بـ صحة جيدة قابلة للخروج.

خرجتُ أمشي نحوَ العمل ، أمشي بـ تثاقل كأنَّ جبلاً على أكتافي .. نظرتُ لـ منزلها كانَ صامتً بـ الكامل ، مشيتُ نحوه وإقتربتُ أكثر وأقول بـ داخلي أينَ انتي إلى أن خرجَ الكلامُ من فمي وبدأ بالتصاعد وعندها بدأتُ أصرُخ وكُلَّ الحيّ سَمِعَ صُراخي وإعتقدوا أنّني فقدتُ عقلي لكن في الحقيقة انا فقدتُ روحي

جاءَ إليَّ بائع البقالة المُجاور لـ يُهدّأني

قُلت: ياعمي أرجوك أينَ أخذوا روحي أينَ هي ؟

قال: يا بُني إهدأ قليلاً وتعالَ معي للبقالة وسأُحدّثكَ هناك

ذهبتُ معه وجلستُ عنده ودموعي تنهمر كـ شلّالٍ لا ينّضب

الأجرُ على الله يا بُني هيه إنتقلتْ إلى مكان آخر

وبعدَ مرور 20 دقيقة من صمتي قُلت بـ صوتٍ ميّت: عمّي خُذني لـ هناك الآن أُأكّد لك أنّني هدأت قليلاً ..

أخذني إليه وجلستُ بـ جوار بيتها أُحدّثُها:

صغيرتي الجميلة كيفَ حالك؟

لِما رحلتي هكذا؟ ، أخذتي كُلَّ شيءٍ مِنّي إلّا أنا لم تأخُذيني

من كان يعلم أنّكِ سترحلينَ عنّي وانا ليسَ لي سِواكِ في هذه الحياة

البارحة كُنّا معاً و اليوم لم يتبقّى بيننا لِقاء ، ماذا عساي أقول فقد سُلِبَ صوتي مع روحي والحياةُ أصبحتْ بِلا حياة ..

كم أتمنّى لو أنّنا لم نلتقي أبدا

بعدَ مرورِ ثلاثة ساعات عاد بائع البقالة وأعادني رُغماً عنّي لـ المنزل ، عُدتُ وخلدتُ نائماً مع صورتها على قلبي ..

استيقظت في اليوم التالي

أولَ يومٍ دونَها .. ومرّتْ أيام .. تليها الشهور

لاشيءَ يُذّكر سِوى فقدان شغف الحياة ، وما زلتُ أُحصي الأيام منذُ رحيلها و اليوم ستُصبح سنه وأربعة شهور وثلاثة أيام ، وأنا كُلَّ يوم ..

على مائدة الوحدة , أجلسُ مع نفسي وأتكلم معكِ في رأسي وسط إنقطاع الكهرباء .. أتذكّر كلامكِ وتتشكّل صورتك أمامي ،

عند كُلِّ ذكرى أتوقّف قليلاً من الساعات ويُشتّت عقلي إلى الأبد ، كُلَّ ما حاولت التجاهل أهتمُّ أكثر , وكُلَّ ما حاولت النسيان أتذكّر وأنسى أن أنسى , تركتِ لي القليل من الصور و الكثير من الذكريات في بالي صور مليئة بِك و ذكريات لا يستطيع ألفُ زهايمر أن يمحيها وجُرحٌ أبدي لا يُشفى ومواقف تُعاد دونَ صوت .. مشاهد صامتة , فقط صوتكِ في الخلفيّة وانتي تضحكين وكأنَّ ضحكتك وُجِدتْ لإحيائي لِـ فترة ومن بعد ذلك قتلي عن عمد مدى الحياة ..

هذهِ وحدتي مع نفسي ، شيءٌ روتيني وشعور ميّت وفكرة قديمة , انتِ فقط من يجعلها جديدة وبـ كامل عافيتها تدُقُّ بابي كُلَّ يوم لتقولَ لي:

"لن أدعكَ وشأنك "

كُلَّ يوم ,لا أستطيعُ الإفلاتَ من هذا الشعور فـ إكتشفتُ أنَّ مُغادرة إنّسان يستوطن قلبي هي أطول عمليّة جراحيّة مؤلمة

تُهديني إياها الحياة ولن تنجح أيضاً ستنتهي بـ الموت محاولة نسيان شيء كان موجود بـ يوم من الأيام وكنت تعتبره جزءً من حياتك اليوميّة أمرٌ أشّبه بالمستحيل وهذا شيء خارج قدرتك ولا علاقة له بـ رغبتك , فالرغبة شيء والواقع شيء آخر "حقيقي" رُبّما تتخطّاه لكن لن تنساه .. ورُبّما توهِمُ نفسكَ بـ النسيان.

لا أعلمُ لِما علينا تَحمُّل مُعاناة الذّاكِرة .. الأمر المُضحك المُبكي هو أنَّ التَذكُّر سهل لكن لا يوجد أصعب من النسيان ، فعندما تُحاول النسيان تتذكّر! وكأنّها علاقة طرّديّة

الفرق الوحيد هوَ أنَّ النسيان سيُذكِّرُك , بينما التذكُّر لن يُنّسيك ..

وكم من عاشقٍ توهّمَ بـ النسيان وهوَ يموت من الذّكريات , وانا أحدهم ..

وكيفَ لي أن أنسى والصّورُ تُحاوطُ قلبي وعقلي من كُلِّ زاوية ومكان ، أنظرُ لـ يميني أراها تبتسم .. أنظرُ لـ شمالي أرى الكتاب الذي كنتُ أُريدُ الإنتهاء من كتابته لها ..

أمسكتُ به وأردتُ إكماله رُغمَ أنّه لن يصل إليها ، حاولتُ الكتابة لكن لم أستطع كتابة حرف واحد فـ حذفتُ إسمه لكن أبقيتُ على أحداثه كما هيَ و أسميته "لعنة الذّاكِرة" وبدأتُ أكتب: الساعة الآن الثّانية بعدَ مُنّتصف اللّيل ، في هذهِ الأوقات أستطيعُ رؤية الماضي يتهيّأ أمامي بـ جودة 8K ..

أراها امامي تأتي لـ نحوي وقبل وصولها بـ بضعِ مترات تختفي، أسمعُ صوتها تُحدِّثُني تارةً وتضحكُ تارةً أُخرى لكن سُرعانَ ما ينتهي كُلَّ شيء ويَعُمّ الصّمت وأعودُ لـ وحدتي وأُحاولُ النوم فـ أراها في أحلامي قبلي ..

استيقظُ اليوم التالي ومثلَ عادتي أذهبُ لـ جانب منزلها قبل أن أفعل شيء ،

أمشي في الطريق و أُصادفُ:

الناس.....المقاهي..... المطر.....الموسيقى.....الحدائق.....الشّوارع.....الأرّصُف .....الحيّ.....الورد الأحمر .....القهوة .....البلاد بأكملها

وعندما وصلتُ حدّثتُها:

أراكِ بـ عيون الناس ' رائحة المطر '

صوتُ فيروز وهيَ تقول: "وحدن بيبقوا متل زهر البيلسان"

' المقهى الذي كُنّا نجلِسُ به '

بـ كُلِّ رشفة فنجان قهوة سادة ' بـ عيون الورد الأحمر

بـ جميع الشّوارع التي مشينا بِها '

كُلّ ما مررّتُ بـ جوار منزلك , وصوتُك يعيدني عام إلى الوراء '

أليسَ في هذه المدينة شيءٌ لا يرّبِطُ ذاكرتي بِكِ

فـ واللهِ حتّى الماء هُنا يأخذُ عقلي لِـ مجراكِ ..

كُنّا سنلتقي في المقهى المُعتاد بعدَ أن تنتهي من معهدك في ذلك اليوم

قُلتُ لكِ قبلها بـ يوم أنّني

"سأنتظركِ حتّى وإن طالَ إنتظاري للأبد"

ههه يبدو أنّني أُنفّذُ كلامي حرفيّاً

فأنا إلى الآن أنتظركِ في المقهى وانتي لم تأتي ،

ليتكِ تعودي وتُعيدي لي روحي معكِ

الحياةُ يا أميرتي ظلمت قلبي

عائلتي مشتته بعد !

المرّة الوحيدة التي بدأتُ فيها بـ إكتشاف ملامح الحُبّ

كانت الشيء الذي دمّرَ حياتي

أفكاري يوميّاً تأكُلني

إنّني لا أرجو شيئاً سوى رأسٌ خالي من الأفكار والتخبطاتْ ..

لا أحد يعرفُ الحروب التي أخوضها بين الذاكرة والواقع،

مرَّ وقتٌ طويل على فقدكِ حتّى ظنَّ الجميع أنّني تجاوزتُ ذلك ، لا أحد يعلم أنّني مازلتُ عالق في ذلك اليوم

وتلك اللحظة تحديداً ..

اللحظة التي شعرتُ حينها أنَّ كُلَّ شيءٍ حلم لا يُصدّق

الحياة ليست حياة كما تخيّلتُها في صغري يا أميرتي ..

_ في صباح اليوم التالي وُجِدَ ابراهيم ميّتاً في وسط الغُرفة

مُتَكِئاً على الحائط وبـ جانبه صورة لها

و وجدتُ انا المُحقق ".ع******س" بين يديه هذا الكتاب

بـ عنوان "لعنة الذاكِرة"

وبعدَ ما قرأته كامِلاً وصلتُ إلى رسائل ابراهيم لـ أميرتي ..

الرسالة رقم (١) :

ذاكِرة القلب لا تَنسى ولو مرَّ قرنٌ من الزّمان

وها انا ذا في العام الأول من مُعاناتي مع ذاكرتي

التي لا تنساكِ

التي لا تنسى لونكِ المُفضّل " الأزرق "

لا تنسى أنّكِ تعشقينَ " فيروز "

لا تنسى تاريخَ ذهابك " 13 - 7- 2021 "

لا تنسى ملامح وجهك الطفوليّة

لا تنسى ها

التي لا تنساكِ .

الرسالة رقم (٢) :

' سأنتظركِ حتّى وإن طالَ إنتظاري للأبد '

أتذكرينها؟

عندما قُلتها لكِ ضحكتي ضحكتكِ الجميلة

لكن ما رأيُكِ عندما تعلمين أنّني إلى اليوم

أنتظركِ في المقهى وانتي إلى الآن لم تأتي!

حتّى قهوَتي لم أحتسيها بعد لكي تأتي ونحتسيها معاً .

الرسالة رقم (٣) :

البارِحة رأيتُكِ في حُلمي

فحضنتكِ حُضنَ الضعيف وبدأتِ بالبُكاء

فكتبت عندما استيقظت :

" تضحكُ منذُ عرفتها واليوم أبكتني حينَ بكتْ " .

الرسالة رقم (٤) :

انتِ لم تُفارقينني يوماً ..

في الصّباح أشربُ فنجانين من القهوة

واحداً لي و الآخر لكِ ، رُغمَ إختلاف الأذواق

فأنا احتسيها "سادة"وانتي برغوه القهوة ، أقصد تحتسينها حلوة مثلك

و في الّليل بعد عودتي من عملي أتحدّثُ إليكِ عبرَ

الصّور المُضيئة بـ نورك وسط إنقطاع الكهرباء الدائم

وعِندَ نومي أيعُقل أنّ يأتي يوم ولا أحلمُ بكِ!

أحلامي بكِ كثيرة لكن الواقع واحد

بين جميع تفاصيل يومي موجودة

كأنّكِ الشّمس في النّهار و القمر في الّليل

نعم لديَّ كلام و أحاديث طويلة لكن سأكتفي بـ قول

أنّكِ دائِماً في بالي و أكثرُ ما يشغله ،

و إنّ رحلتِ عنه تستقرّينَ في قلبي للأبد ..

ف واللهِ لم تُفارقينني يوماً .

الرسالة رقم (٥) :

عندي من الأمنياتِ ما لم تتحقق

جميعها كانت تتمحور حولكِ

وجميعها هيَ انتِ

كيف لإنسانٍ أن تكونَ جُلَّ أُمنياتهِ تتمحور حولَ إنسان واحد!

لا يُريدُ قبله شيء ولا بعده

لكن حتّى هذه الأُمنية الوحيدة لم تتحقق

وكأنّي طَلبتُ المُستحيل

فأنا كُلُّ ما أردتهُ من الكون هذا هوَ انتِ فقط

انتِ فقط

و الآن أشعر أنّني لا أرغبُ بشيء

حتّى نفسي لا أُريدُها .. لا أُريدُها

الرسالة رقم (٦) :

أصبحتُ لا أعلم من بيننا هوَ الكاذب

انتِ أم انا!

صدّقيني انا مثلكِ

لكن الفرق الوحيد

هو أنّكِ بعيدة عني .. بينما انا بنتظارك

ومُعاناتي لن تنتهي سِوى بـ لقائك

الرسالة رقم (٧) والأخيرة :

يبدو أنّ الحُبّ هوَ الشّعور الأسّمى و الأصّعب في آنٍ واحد

لقد وجدتُ الإجابات على جميع أسألتي الآن و أتمنّى لو الآن لم يأتي دونَ وجودك معي ..

رُبّما لو وُلِدَ حُبُّنا في وطنٍ آخر لكانت النّهاية مُغايرة و أختلفتْ الآجوبة ..

هيه ذهبتِ بعيداً.. لكنّكِ في قلبي للأبد .

وآخر كلماته كانت:

هذا الكتاب اسميته في البداية " انا وهي "

لكن بعدَ ذهابها إنتهت كلمات الكتاب معها

فعدّلتُ العنوان و اسميته (" لعنة الذّاكِرة ") .

_ هُنا حدثت أبشعُ الجرائم

التي واجهتها طيلة مسيرتي كـ مُحقق

"ذاكرةٌ تَقتُلُ صاحِبُها"

أغلق المحضر و سجّل بـ نهايته:

القاتل هوَ المقتول .

.... الـــنـــهـــايـــة ....